اصداري السابع

قصة بقلم سميرة المانع

كحاجبين رفعا استغرابا ، قيدت هذه العبارة بين قوسين تقول : (اليس عجيبا ان نكون ببلدة كلانا بها عاشق ولا نتكلم) ! لقد وضعت الجملة في صدر الورقة الزرقاء مرسومة بعناية ودقة لتكون واضحة ساعة فتح درج مقعدها . ومن دون اهداء او توقيع ، مقصودة لمن كتبت اليه نشبت الكلمات بعيون (سعاد) وهي تفتح الدرج كي تخرج كتاب الجغرافيا . وثبت المعاني بجسارة كبيرة ، محملة باعمق الابار خزنا واشدها خطرا ، وقبل ان تنصهر عيناها كليا ، خنقت الورقة بقوة فتدحبلت مجموعة من التجعدات في زاوية المقعد متحاشية كتبها وعلبة الاقلام .

من بين رزمة الكتب اخرجت كتابا ، عكازا يخفي عثرات يديها المرتبكتين . وانحنت عليه مفروسة في صفحة منه . وهي لا زالت تتسمع نبضات انسان حي دفنته اللحظة في قعر المقعد الخشبي ، وكأن جميع من في الفصل شهود يلهثون لرؤيته ، فتسري رائحة البرد باطراف ثيابها حتى تبدو عارية . بينما ظلت المعلمة تروح وتجيء متخطية اياها قارعة الاسنان .

ما كانت تجرؤ على الالتفات ، نملة في لب الشتاء ، متصورة عيون الطالبات المفتوحة اصابع وافواههن خراطيم ثلج ، ودوائر كبيرة وكبيرة تتسرب من غطاء المقعد ، ومن فم تلك الورقة الجعداء لتقول حتى تصم الاذان ، وظلت كلمة (عاشق) تبقع المكان كلوثة دم ملتصقة بظهر ثوبها المدرسي تزداد اتساعا وبشاعة بالدقائق والحركات .

قرع الجرس منقطا انفاسها انقاطا ، فهبت الطالبات كتلة من الهائجات يرفعن ويطبقن كتبهن بهوس استغلال لهو حسبن له الحساب، وهن تصغر في مقعدها وتصغر حتى الافلات . كان جمعهن ينهمر في الساحة تاركا الصفوف في مدى دقائق ، محدثا جلبة وضوضاء تكفي وحدها لالاف الفضائح والحكايات مغذية اسوأ ما في اذهانهن الان .

ليتها كانت نجلاء او سهام لعرفت كل شيء عنها . فلن تجد زيا لها ما لم تكن واحدة منهن ، وكل واحدة مصممة وعارضة لزي شنيعتها الساعة، وستدرك بطبيعة الامور من وضع تلك الورقة في المقعد ، بطافة وشاية، وهم صبية ذات اسرار . ولن تنتظر طويلا ، كي تلم بكل هذه الشؤون، فستأتيها الانباء بسخاء من واحدة منهن او من اثنتين او ثلاث . حتى صبيحة تلك العجفاء الصامتة ربما وصلها الخبر الان وهي في الساحة ستقول لها نجلاء ضاحكة : صبيحة اشاهدت سعاد اليوم؟! فتجفلها سهام من طرف ردنها ناصحة : دعينا منها ، سعاد في عالم ثان ! سوف تركض خلفهما صبيحة : تعالا ، ما الخبر ؟! فتقصان عليها الحكاية من الاول.. نعم انهما يلتقيان ، كانا في نفس السينما قبل اسبوع ، شاهدتهما عواطف .. طويل ، وشعره اسود ...

من خلال خيوط العنكبوت ، كانت تسمع حوارهن ، وثغرات الصمت وترى وجه صبيحة الاملح ينفتح قليلا وهي تسمع الحكاية، ثم تظهر اسنانها الناشفة بضحكة ترتد بها للخلف وكأنها الملاك الذي يرى الشيطان . لم تفلت واحدة منهن ، كلهن مشبوهات ، ولم تصطد ولا واحدة ، وظلت تسمع القهقهات تأتي من الساحة ثم تسمع الزعيق والعواء.

فتحت درج المقعد متلصصة ، وتشبثت بالورقة كرة اخرى ، وبحذر من ان تراها احداهن فكت تجعداتها فانبطحت العبارة وقد فكت شدقيها بكل وقاحة لتضع قاموسا مختصرا للفضيحة . كان صمت الفصل وصفوف مقاعده المتضايقة هدوء محكمة فضت قبل نطق الحكم . ولا زالت اصداء الكبرياء والشرف والرهبة مترددة مع اصوات الجبن والضعة والاهانات ، وكانت سعاد كلهن جميعا ، مثقلة بالديون والاخطار، ولم تكن بهذا التعقيد اليوم الذي تأبطت فيه ذراع زميلتها ليلى ، خفيفتين كريشتين ، تتمشيان في ساحة المدرسة المضطربة ، ومن بين جموع الطالبات المثرثرات والناديات شقا لهما طريقا بعيدا عن الضجة،

صدر حديثا عن دار الاداب

دور العرب

في تكوين الفكر الأوروبي

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي

يستعرض هذا الكتاب الهام اثر العرب في تكوين الحضارة الاوروبية في العصور الوسطى ، فيتحدث عن دور العرب في الشعر والفكر العلمي وتكوين الفلسفة والمعارف والموسيقى والمعمار في اوروبا ، ويلقي ضوءا جديدا على التأثير العربي العظيم في القرون الوسطى .

الثمن ٣٥٠ ق. ل

بالقرب من حائط البناية الخلفي ، كانتا قريبتين تماما ، ومخلصتين ، واللحظة تلك لا تقدر بزمن ، وكأن الدعة والوفاء اشياء لا مفر منها . وكشجرة فائضة الظلال تفيأت ليلى قربها ، تحدثها عن ابن خالها ،وهو واحد منهم ، يكبرها بثلاث سنوات ، يعطيها كتبا للمطالعة ، وعندما تزورهم يصر على مرافقتها في الليل ، وقد عصر لها يدا ليلة ما . هو من درسها الرياضيات في العطلة الصيفية ، وفي الوقت نفسه كان يتأملها ويبدي اعجابه برشاقة اناملها حتى ترتبك ويرتجف القلم، عرفها قبل ان تدرك نفسها وقبل ان تحس به هو بالذات . وهي مطمئنة ان لن يفشي شيئا فهو ابن خالها وان لا زالت تخشاه .

كانتا بعيدتين عن صداري المدرسة النيلية وضفائر الطالبات المشدودة باحكام ، وكأن تلك الفرصة هي الوحيدة من بين المئات لكي تتسامرا وتتصارحا وكطفل يسرق الحلوى لاول مرة تحدثت سعاد عن (فلان) فهي لا تعرف اسمه بالضبط ، قد يكون مثنى او هشام ، وان كان الاسمان لا ينسجمان مع رؤينه تماما ، فالاسماء شخصيات في بعض الاحيان . وهي تراه كل يوم تقريبا ، وتفضل ان تخرج في الثامنة صباحا فهو مجبر على الدوام في تلك الساعة ايضا ، وعندما تعود من المدرسة مساء تجده واقفا امام احد الدكاكين ، متوقفا اياها مع انصراف الطالبات ، لقد شاهدته عدة مرات في السينما . وكانت الافلام تعبر عنهما شخصيا فيتحاوران بلسان كل ابطال الغرام ، ولا يبدو هناك سوء تفاهم او اختلاف . وعندما تضاء الصالة تراه جالسا في زاوية يدخن ، ويلتفت بوفار بعد ان قال كل ما يريد ان يقول .. لقد حفظت الوان ثيابه ، وسرعة مشيته ، الجبهة العالية ، ونظرة الرجاء .

بدت جريئة ، كشفت امورا لم تكن موجودة اصلا بينهما ، قليل من السينما ، وبعض من روايات الغرام المشهورة . كانت الصراحة والكذب اشياء واحدة في تلك اللحظة ، بل شعرت انها مثلت الصدق اكثر من الصدق نفسه . كان هذا طعم السر لاول مرة وطعم البوح . وقد تذوقته بحماس ، بعد ان استخلصتا صناديق الاسرار من بعضهما، والبحار واحدة عند هذه وتلك ، دون ملاحين او سفن حقيقية وان خالتا انهما تبحران . وجميل ان تمتلك سعاد مثل هذه المخاطرة العاطفية ، دون تشويه لسمعتها كفتاة خام . وكانت حريصة على الكتمان كحرصها على الانكار . لم تتشيء وجودا لشيء يمسك ذيلها فيه ملطخا بحب على ابعد احتمال . ولم يتقدم (الرجل) اكثر ، كانت ردود الفعل معتدلة ، فلم يجرؤ ، ولم يجرؤا . وظل هذا الحب الشفهي مكشوفا بين الصديقتين فقط . درسا يوميا يبدآن فيه دروسهما الاعتيادية فتتضاحكان وتتخابثان بعد ان عرفت ليلى ما يدور بين سيارات الطريق واوساخ الطريق وحبه ، وبعد ان نمت فيه سعاد غرورا ورياء وانتظارا .

* * *

ارادت الكؤ لو كانت ليلى متريثة عند الانصراف ، فربما اخبرتها بالورقة بعد أن سمعت اللغط بين الاخريات . سترى اضطرابها فشاركها العزاء . ولكن ، من يدري انها ليلى الواشية . لقد سرقتها اللصة ، وقد ضحكن طويلا عليها قبل ان يضعن الورقة في درج مقعدها. لا تشك في ذلك ، وان شكت في الوقت الذي اخبرته للايقاع . قد يكون في فرصة الدرس الاول ، كانت في الساحة والمجال لهن انذاك.. لم تكترث ليلى ولم تقرب منها ذاك النهار . الانها نادمة ؟! ام لانها منتقمة ؟! انها شامتة على كل حال . اصطفق جناحاها بسرعة . زائغة من بين الواقفات ، ومتبعة ايسر درب كي تصل للبيت ، متوقعة آثارا للورقة الزرقاء في منعطف وامام كل باب دكان . وكان رائحة تنبعث من الرجال ، واصواتهم ، واشكال ثيابهم ، وعيونهم الرخيصة المفضال . تمنت ان يموتوا جميعا بداء . ان يموت واحد على الاقل بالذات .

لاول مرة منذ زمن طويل وجدت غرفتها دافئة ، ممتلكاتها القديمة غير سخيفات ، شرائطها الملونة ، بنوراتها والقمصان . وعلى سريرها كانت المخدة المطرزة بشغل ابريها تضع رأسها باطمئنان ، والوردة المدروزة في زاويتها راضية ، وردية الخيوط والقسمات في مودة تذكر لمت كتبها المشعثة على المنضدة قرب قنينة انيقة لصبغ الاظافر والمشط والدهان . ما احوج كتابها للتجليد ، ستشتري له غلافا جديدا ، وقلم حبر اخر بعد ان سقط قلمها في الطريق قبل بضعة ايام. دخلت تحت اللحاف ، لا ثغرة فيه ، آمنة ، دون اضواء .. لا تريد احدا. تريد ان تنام ، حتى صديقتها ليلى عندما جاءت مساء كانت غير راغبة فيها ، ثقيلة بل ملحاح ، ظلت تحول حول شؤونها ، تريد ان تتبصر عن ما جد من احوالها . بل تراها اكثرت من الحوم الان ، تراودها حول الجديد في ذاك النهار ، ولكنها كتوم متماسكة ، لم تشر للورقة خوفا من هذه النمامة المحتال . وقبل ان تخرج وقفتا بالباب تتودعان . وبابتسامة دهاء وشطارة سألتها ليلى مباشرة :

ـ اوجدت الورقة اليوم ؟

وخافت ان تجيب بشيء حين ردت ليلى نفسها ببداهة وهي تغالب ضحكها :

ـ لقد وضعتها لك . ألم تحزري ذاك ؟!

فتمالكت وهي تقول :

ـ اجل . ولم اعرها الاهتمام .

لندن

سميرة المانع

صدر حديثا

سفر الفقر والثورة

للشاعر عبد الوهاب البياتي

ديوان جديد يسترد فيه الشاعر المبدع وجهه العربي الاصيل ويعبر عن أعمق هموم جيلنا الثائر

الثمن ٢٥٠ ف. ل

منشورات دار الاداب